# الرَّمزيَّة عِند توفِيق الحكِيم

## إعداد


أ.مى أحمد بسيونى ابراهيم
باحثة ماجستير

أ.د. محمد محمود أبو على
أستاذ النقد و البلاغة

أ.د. مروة شحاته الشقرفي
أستاذ الأدب الاندلسي
بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة دمنهور



دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الأول- لسنة
2023

# الرَّمْزِيَّةُ عِنْدَ تَوفِيق الحَكِيم

**المقدمة**

توفيق الحكيم من أبرز رُوَّاد المسرح العربيّ في القرن العشرين ، وكان شديد الاهتمام بإثراء الحياة الثقافية عن طريق توظيف الجديد من الأدب العالميّ ، ولم يتوقف عند لون من ألوان الإبداع ؛ فقد كتب الرواية ، والقصة ، والمقالات الاجتماعيَّة والسياسيَّة ، وصار نجمًا ساطعًا في الصحافة .

وفي مجال المسرح كتب توفيق الحكيم في السياسة والاجتماع والرومانسية واللامعقول ، وكان يعرض المشاكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية بأسلوب لغوى سهل شيق لا تَكلُّف فيه ، وقد تُرْجِمَتْ مُعظم أعماله إلى اللغات الأجنبيَّة ، كالفرنسية والإنجليزية والإسبانية ، وكان يقوم بتمثيلها على المسرح كِبَار المُمَثِّلِينَ .

أما عن دوره الوطني والسياسي ؛ فقد ظهر مُبَكِّرًا منذ ثورة 1919م ؛ فكان يكتب الأناشيد الوطنيَّة ، وحاول أن يُعَبِّرَ عن رأيه بِحُرِّيَّة ، ولكن كان لذلك عواقبه ؛ فقرر استخدام الرمز لكى يأمن على نفسه من بطش السلطة الحاكمة .

يهدف البحثُ إلى دراسة الرمزية عند توفيق الحكيم ، الذي أُطْلِقَ عليه (أبو المسرح العربي) ؛ وذلك لأن أعمال توفيق الحكيم الأدبية تَحْتَلُّ مَكَانَةً بارزة في المكتبة العربية ، وكان له دوره البارز في المشهد السياسيّ .

وتناولت في التمهيد : المسرح السياسي ؛ مفهومه ونشأته ، أمَّا البحث وعنوانه (الرَّمْزِيَّةُ عِنْدَ تَوفِيق الحَكِيم) ؛ فينقسم إلى : مسرح توفيق الحكيم السياسي ، توظيف توفيق الحكيم للرمز السياسي) .

**التَّمْهِيد**

**المَسْرَحُ السِّيَاسِيُّ ؛ مَفْهُومُهُ وَنَشْأَتُهُ :**

**أ) مَفْهُومُ المَسْرَحِ السِّيَاسِيّ :**

تعرف سامية أسعد المسرح السياسي قائلةً إنه : « مسرح ذو مضمون سياسيّ يستهدف تعليم جمهور شعبيّ عريض له صبغة سياسية مُعَيَّنة » [1] .

(1) سامية أسعد : المسرح الفرنسي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976م ، ص29 .

ويؤكد سعد أردش أنَّ المسرح السياسيّ الواعي يسعى إلى إحداث تأثير بالغ في الجماهير ؛ بهدف دمجها في صفوف معركة طويلة نحو حياة أفضل تسودها العدالة الاجتماعية [2] .

فالمسرح السياسي ليس طرح قضية سياسية مجردة كما يتبادر إلى الذهن ؛ فهو لا يُعْنَى فقط بالفكر السياسي ، بل يُعْنَى أيضًا بِالفكر الاقتصادي والاجتماعي ؛ فقد يعرض قضية تُنَاقِش مُحَارَبة العادات الاجتماعية البالية ، أو تُشَجِّعُ على استخدام المعدات الحديثة للعمل على رفع معدلات الإنتاج الزراعي والصناعي ، وتَحُثُّ المتلقي على التغيير إلى الأفضل .

فقد يَلْجَأُ الكَاتِبُ في المسرح السياسي إلى أحداثٍ من الماضي ؛ لعرض قضايا تَمُسُّ الحاضر عن طريق الإسقاط السياسيّ ، وقد يلجأ أيضًا إلى الرمز ، الذي يُحَمِّلُهُ مَا يَشَاءُ مِنْ قضايا ودلالات ، أو إلى التاريخ.

والمسرح السياسي يهدف إلى جعل المتلقي يرى المتناقضات في المجتمع ؛ ومن ثَمَّ يساعد على تغيير النُّظُم الفاسِدَة .

## ب) نَشْأَةُ المَسْرَحِ السِّيَاسِيّ :

لا ينشأ المسرحُ السياسيُّ في البُلْدَانِ المُتَقَدِّمة المُتَطَوِّرة التي لا تواجهها مشكلات اقتصادية ، أو مشكلات في التعبير عن الحُرِّيَّات ، أو مشكلة الوقوع تحت سطوة الاستعمار ؛ لأنَّ المسرحَ السياسيَّ مُحَفِّزٌ لِلمُطَالَبَة بِشَيءٍ مَا .

إنَّ المسرحَ السياسيَّ في شكله الأخير كانت بدايته من « روسيا بعد نجاح الثورة الشيوعية 1917م ، التي نادت بمفاهيم الماركسيَّة ، والدعوة إلى الحُرِّيَّة والمساواة ، وقد ظهر مسرح سُمِّيَ بـ(الأوتشرك) ، وهي كلمة روسيَّة تعني التحقيق الصحفي لحدث سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي وليد الساعة » [3] .

وازدهر المسرح السياسي في ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الأولى 1919م ، وتأثر المسرح الأمريكي بموجة المسرح السياسي الألماني .

---

(2) انظر : سعد أردش : المخرج في المسرح المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة (19) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1979م ، ص193 .

(3) غسان غنيم : المسرح السياسي في سوريا 1967 – 1990م ، دار علاء الدين للنشر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1996م ، ص 12 .

وظهر المسرح السياسي في أمريكا إبَّان الأزمة الاقتصاديَّة التي ضربت الاقتصاد الأمريكيّ عام 1929م ؛ فأثرت هذه الأزمة على كل فِئَات الشعب الأمريكيّ ؛ وأدت هذه الأحداث إلى ازدهار المسرح السياسي ؛ وذلك من أجل توعية الشعب وتوجيهه نحو مجتمع يقوم على أسس اجتماعية جديدة [4] .

ظهرت بَوَادِرُ تأثُّر المسرح السياسيّ في الوطن العربيّ بالمسرح السياسيّ الغربيّ بعد نكسة 1967م ؛ فقد عَبَّرَ الكُتَّابُ بعد النكسة عن التَّحَوُّلات التي شَهِدَتْهَا المنطقة العربيَّة ككل ؛ فظهر المسرح السياسيّ على يد سعد الله ونوس (ت1997م) ، في مسرحية (حفلة سمر من أجل 5 من حزيران) وألفريد فرج (ت2005م) في مسرحية (في النار والزيتون) ، كما كتب علي عقلة ، ونجيب سرور (ت1978م) ، ومصطفى الحَلاَّج (ت2002م) ، وغيرهم ، مسرحيات صُنِّفَتْ على أنها مسرحيات سياسية ؛ لأنها تُنَاقِش قضايا تتعلق بالواقع [5] .

ولقد حرص المسرحيون العرب على الاهتمام بالمسرح السياسيّ ودعمه ليستطيع أن يؤدي دوره الفَعَّال في توعية الجماهير ، ولكن الرقابة كانت تمنع مثل هذه الأعمال ؛ لأنها خافت من استفاقة الشعب .

وفي العصر الحديث أصبحت الأحوال السياسيَّة ، وقضايا الاستعمار ، وقضايا الحرية ، والحرب ، والسلام ، والصراع الطبقي روافد تَمُدُّ المسرحَ السياسيّ بكل جديد ؛ مِمَّا أَدَّى إلى ازدهاره في سوريا ولبنان ومِصْر .

## مَسْرَحُ تَوفِيق الحَكِيم السِّيَاسِيّ :

اتصلَّ توفيق الحكيم بالسياسة عام 1919م عندما قامت الثورة ؛ حيثُ أَلَّفَ الأناشيد الوطنية التي كانت تتداول بين الثُّوَّار ، وبعد ذلك كتب أُولى مسرحياته الكاملة ، وهي (الضيف الثقيل) التي قَصَدَ بها المُسْتَعْمِر ؛ ولِذَلِكَ مُنِعَتْ مِنَ العَرْض .

لذا اتجه توفيق الحكيم إلى المقالات السياسية التي عبر عن رأيه فيها ، وعلى الرغم من ذلك لم ينضم إلى أيّ حزب من الأحزاب السياسية ؛ ويُعَلِّلُ ذلك بقوله : « أنا لم أنضم إلى حزب سياسي ؛ لأنَّ الأحزابَ كانت تتقاسم الأدباء ، وتَنْسِبُ إلى نفوذها كل

(4) انظر : غسان غنيم : المسرح السياسي في سوريا 1967 – 1990م ، ص 82 ، 89 .
(5) انظر : أحمد حسين صقر : المسرح السياسيّ والنص التراثيّ ؛ دراسة مقارنة بين مغامرة رأس المملوك جابر والليلة الثانية بعد الألف ، مجلة كلية الآداب ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد (22) ، ج (3) ، يناير 2009م ، ص 1367 .

فضل في شهرة الأديب ومكانته الاجتماعية ؛ فسألتُ : (هل من المستحيل أن يصل أديب في مصر إلى شيء من المكانة عن طريق الأدب وحده؟!) ، وعاهدتُ نفسي على رفض كل نفوذ أو معونة من الأحزاب السياسية » [6] .

يرى توفيق الحكيم أنَّ الأحزابَ لجأت إلى المُفَكِّرِينَ والأدباء لتتخذهم مطايا للوصول إلى كرسي الحُكْم ، وطلبت منهم التأييد ، وأن يكونوا أبواقًا للحزب مقابل أن تعطيهم الشهرة والنفوذ ؛ « فالكاتب المُفَكِّر المُثَقَّف في نظر الأحزاب مجرد قلم مستأجر للدفاع عن وجهة نظر الحزب ، والهجوم على الخَصْم » [7] .

ولذلك قَرَّر توفيق الحكيم أن يعتصمَ في برج عاجيّ ؛ لأنه يرى أنَّ « مسؤوليةَ المُفَكِّر الحُرّ إنما هي أمام نفسه وحدَها لا أمام حزب من الأحزاب ، أو حاكم من الحُكَّام » [8] ، ولكن لا يُفْهَم من ذلك أنَّ توفيق الحكيم انعزل عن الواقع وعن الأحداث السياسيَّة الداخليَّة أو الخارجية ، يقول توفيق الحكيم : « فما مِنْ حَدَثٍ استوجب تَحَرُّك القلم إلا حَرَّك قلمي ، بل ما مِنْ قضيَّة من قضايا الحياة الكُبْرَى التي تَمُسُّ الإنسان وتطوُّره وتقدُّمه إلا شغلتني ودفعتني إلي الجهر بالرأي حتى في النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، دون التفات إلى عواقب الرأي الحُرّ... فليس مِنْ حَقِّ مُفَكِّر اليومَ أن ينأى بفكره عن مُعْضِلات زمانه ، ولكن من واجبه أن ينأى بِخُلُقِه عن مباذل عصره » [9] .

والدليل على عدم دعوة توفيق الحكيم الأدباء إلى العُزْلة عن المجتمع والسياسة قوله : « لم يخطر في بالي قطُّ أن أعزل الفكر عن أي نشاط سياسيّ أو اجتماعيّ ... فالعزلة التي دعوت إليها هي العزلة عن السياسيين لا عن السياسة ، وعن الأحزاب لا عن المجتمع » [10] .

وينصحُ الكاتبُ الحرُّ بأنْ « يَبْقَى بعيدًا عن الحركات الحزبيَّة والسياسيَّة كي يستطيعَ في كُلِّ وَقتٍ أن يُدَافِعَ بِمُطْلَقِ الحُرِّيَّة عَنِ المُثُلِ العُلْيَا الإنسانية ... ولا يُؤَازِرُ المَذَاهبَ والأشخاص إلا علي قدر احتفاظها برُوحِ هَذِهِ المُثُلِ » [11] .

---

(6) توفيق الحكيم : ملامح داخلية ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م ، ص 38 .
(7) فؤاد دواره : مسرح توفيق الحكيم ؛ المسرحيات السياسيَّة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م ، ص 59 .
(8) توفيق الحكيم : ملامح داخلية ، ص 128 .
(9) توفيق الحكيم : من البرج العاجي ، مطبعة التوكل ، القاهرة ، 1941م ، ص 31 ، 36 .
(10) توفيق الحكيم : ملامح داخلية ، ص 128 .
(11) توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر ، ص 226 .

وقد طَبَّقَ توفيق الحكيم ذلك على نفسه تطبيقًا صارمًا ؛ فابتعد عن الأحزاب السياسيَّة ، كما ابتعد عن الحُكَّام ؛ فقد طلب جمال عبد الناصر مقابلة توفيق الحكيم ، ولكنه رفض ، يقول : « أَذْكُرُ أَنَّ صحفيًا لامعًا من أصدقاء عبد الناصر زارني يومًا في مكتبي بدار الكُتُب ، وأخبرني أن رئيس الحكومة جمال عبد الناصر يدعوني إلى تناوُل الشاي ، دعوة خاصة لن يحضرها أحد غيرنا ؛ فقلت له مُعْتَذِرًا : (كيف أذهب إلى رئيس الحكومة وما أنا إلا مُوَظَّف على درجة مدير عام) ؛ فضَحِكَ وقال : إِنَّهُ لا يدعوك بصفتك موظفًا ، بل بصفتك مُؤَلِّف (عودة الروح) التي قرأها ، وأَثَّرَتْ في تكوينه الوطنيّ ؛ فَقُلْتُ لَهُ : (ولو ... أرجوك ابعدني عن رجِال الحُكْم) ؛ فكان بعد ذلك كلما رآني قال أمام الحاضرين : (هذا هو الرجل الذي رفض مقابلة عبد الناصر) ؛ فأبادر بتخفيف الوضع : ليس شخص عبد الناصر بل الحاكم ، أنا لم أُقَابِلْ قَطُّ في حياتي رئيس حكومة وهو في الحُكْم ؛ فيقول ضاحكًا : يعني تريد منه أن يستقيل ليراك ؟ فَأَرُدُّ مُبْتَسِمًا : (هذا هو الحل) » [12] .

ولقد كان عبد الناصر يتعجب من ابتعاد توفيق الحكيم عنه ، ولكن ما يُبْعِدُهُ هو إيمانه بأن « الحاكمَ لا يُرِيدُ مِنَ المُفَكِّر تفكيره الحُرّ بل تفكيره المُوَالِي ، إِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ منه تأييدًا لا اعتراضًا » [13] .

لقد كان توفيق الحكيم مثالاً للفِكْرِ الحُرِّ ، فلم يكن في يومٍ من الأيام مِنْ أَنْصَار جماعة بعينها ؛ فقد كتب في عام 1939م مقالاً اقترح فيه إنشاء وزارة جديدة باسم (وزارة الأوقاف والحياة الاجتماعية) ، ولَمَّا تألفت وزارة عليّ ماهر باشا في هذا العام أَخَذَ بهذا الاقتراح ، وأنشأ وزارة مستقلة عن وزارة الأوقاف باسم (وزارة الشؤون الاجتماعية) ، واختار توفيق الحكيم ليشغل فيها منصب مدير مصلحة الدعاية والإرشاد الاجتماعيّ [14] .

ويُؤمِنُ توفيق الحكيم بواجب الأديب في قيادة الرأي العام ؛ فمُهِمَّة الكاتِب – عنده – هي تربية الرأي ، وتحريك الرؤوس ، أي خلق الرأي العام لا توجيهه ، يقول : « أنا مُهِمَّتِي أو فلسفتي بوصفي كاتبًا ليست أبدًا أَنْ أَجْعَلَ مَنْ يَقْرَأ لي يتبع رأيي ، ولكن أَنْ أُوقِظَ فيه رأيه ، وكيف يكون رأيه هو ؛ فإذا قال رأيه بعد ذلك ؛ حتَّى إِنْ كَانَ مُخْتَلِفًا عن رأيي ؛ فَإِنَّنِي أَعُدُّ ذلك نجاحًا كبيرًا ، أما إذا وَافَقَ عَلَى رَأْيِي بعد ذلك فسيكون ذلك بمحض تفكيره وباختياره » [15] .

---

(12) توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر ، ص 354 .
(13) توفيق الحكيم : عودة الوعي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م ، ص 50 .
(14) انظر : محمد السيد شوشة : 85 شمعة في حياة توفيق الحكيم ، ص 97 .
(15) صلاح منتصر : توفيق الحكيم في شهادته الأخيرة ، ص 112 .

فواجب الكاتبُ أن يجعل القارئ يُفَكِّرُ تفكيرًا حرًّا ، يدفعه إلي تكوين رأي مستقل ، يقول توفيق الحكيم : « لا أريدُ مِنْ كِتَابِي أن يُرِيحَ قَارِئِي ، أريد أن يطوي القارئُ كتابِي فتبدأ متاعبه ؛ فيسُدّ النَّقْص الذي أَحْدَثْتُ ، أريدُ من قَارِئِي أن يكونَ مُكَمِّلاً لِي ... ينهض ليبحث معي ... إن مهمتي هي في تحريك الرؤوس » [16] .

ولقد كانت لتوفيق الحكيم أفكارٌ سياسية نافذة منذ مرحلة مُبَكِّرَة من حياته ، وهذه الأفكار السياسيَّة تبلورت في أعماله المسرحية ؛ فقد كان أول مَنْ تَنَبَّأ بثورة 1952م ، وذلك في كتابه (شجرة الحُكْم السياسيّ في مصر) ، وقال لن يُنْقِذَ البلدَ إلاَّ (ثورة مباركة) ، تطيح بهذا الزيف وذلك النظام ، الذي تعيش فيه مصر .

ووصفها بهذا الوصف ؛ لأنه لا يَهُمُّهُ شكل الحُكْم ، وإنما يَهُمُّه مضمونه ، أيّ الأشخاص المُخْلِصِينَ الذين يفعلون ما يريدهُ الشعب ، وبعد عِدَّة سنوات قامت الثورة ؛ فاستقبلها بالتأييد .

وفي رواية (عوده الروح) نادى بالزعيم المعبود ، الذى يلتفُّ حَولَهُ الشعبُ ، ويُصْبِحُ (الكلّ في واحد) ، وهذه العبارة أَثَّرَتْ في جمال عبد الناصر ؛ الذي نَسَبَ إلى رواية (عودة الروح) الفضل في القيام بالثورة .

لقد كان لتوفيق الحكيم مكانة خاصة عند الرئيس جمال عبد الناصر ؛ لذا أظهر توفيق الحكيم رأيه في بعض المواقف التي لا ينبغي السكوت عنها ، ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ أنه كَتَبَ رسالة للرئيس عبد الناصر بمناسبة تعيين محمد حسنين هيكل (ت1923م) وزيرًا للإرشاد .

أراد توفيق الحكيم أن يُؤَكِّدَ أن البلاد التي تعاني أزمة نفسية شديدة بعد هزيمة 1967م ، لا تُصَدِّقُ ما يصدر عن الجهات الحكومية ؛ ولذلك فإن الأقلام الحُرَّة المُسْتَقِلَّة هي وحدها التي تستطيع أن تعالج نفسية الرأي العام ، وقد أُرسِلت الرسالة بواسطة زوج كريمة الرئيس عبد الناصر ، ولكن هذه الرسالة على الرغم من صيغتها الودية وصراحتها المخلصة أصبحت موضع تحقيقات ، وقد توقع لها أحد المُسْتَجْوِبِينَ سُوء العَاقِبَة ، وقد أعلن توفيق الحكيم أنه لولا الحياء منه لكِبَر سِنه وَحُسن نِيَّتِه ؛ لوُضِعَ في السجن [17] .

ولقد كان لأعمال توفيق الحكيم صدًى واسعٌ ، وفي ذلك يقول توفيق الحكيم : « نَشَرَتْ بعض الصحف أن وزارة المعارف تَلَقَّتْ من الأزهر كتابًا كَذَّبَهُ الأزهرُ فيما بعد بشأن خطر كتاب (يوميات نائب في الأرياف) بقلم توفيق الحكيم ... وهذا لتعرضه لهيئة

(16) توفيق الحكيم : يقظة الفكر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م ، ص 15 .
(17) انظر : توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر ، ص 422 ، 428 .

القُضاة الشرعيين ؛ فعلق توفيق الحكيم على ذلك بقوله : (إني بصفتي كاتبًا اجتماعيًّا قد أَرَدْتُ فِي كِتَابِي إبراز صورة للقُضَاة الشرعيينَ ، إلى جانب الصورة المرسومة فيه للقضاة الأهليين ولرجال النيابة والبوليس وأطباء الصحة والعُمَد وغيرهم.... ولا أَظُنُّ القُضاة الشرعيين يتمتعون بقداسة خاصة وحصانة دينية تجعلهم في مكان لا ترتفع إليه يد النقد والإصلاح ، ولا شك عندي في أن مستقبل مصر والعرب متوقف على ضمان حرية العقول والأفكار ، الحُرِّيَّة الضرورية لكل نهضة حقيقية» [18] .

وفي موضع آخر يقول توفيق الحكيم : « كُنْتُ أريد السفر إلى فرنسا ، وجهزت كل أوراقي ، ولم تبق سوى تأشيرة القنصلية الفرنسية ، وإذا بالقُنْصُل يرفض إعطائي هذه التأشيرة ، التي لا بُدَّ منها لدخول فرنسا ... فذهبت وقابلته وسألته ؛ فأخرج ملفًا من دُرْجِهِ ، وجعل يُعَدِّدُ التُّهَم ؛ قائلا : أنت في عام 1943م كَتَبْتَ مقالاً عنيفًا ضد فرنسا بعنوان (خيبة أمل) قُلْتَ فِيهِ : (إِنَّ أَمَلَكَ خَابَ في فرنسا التي تطأ بأقدامها استقلال شعب صغير) ... فَتَذَكَّرْتُ المُنَاسبة : كان ذلك على أثر اعتداء السلطة الفرنسية في بيروت على استقلال لبنان ، واعتقالها يومئذٍ رئيس جمهوريته ووزراءه ونُوَّابه ! ... واستمر ينظر إلى الملف ويقول : ثم حدث بعد ذلك أنك أهنت فرنسا برد نيشان إليها ، كانت قد أهدته إليك بمناسبة ترجمة مؤلفاتك إلى الفرنسية عام 1938م ... فَتَذَكَّرْتُ المُنَاسبة : كان ذلك على أثر اعتداء فرنسا على تونس ، وكانت مذابح وضحايا ، وتكونت في مصر لجنة من الهلال الأحمر رأت الذهاب إلى تُونُس بالأدوية اللازمة للجرحى ، وإذا بالسلطات الفرنسيَّة هُنَاك ترفض دخول هذه اللجنة المكونة من أطباء مصريين يحملون الدواء » [19] .

وتعرض توفيق الحكيم للهجوم الشديد عندما كتب كتابه (عودة الوعي) ، الذي انتقد فيه الثورة وعبد الناصر نقدًا مباشرًا ؛ فقد صُدِمَ الكثيرونَ بهذا الكتاب ؛ وذلك لأن علاقة توفيق الحكيم بثورة يوليو 52 و بجمال عبد الناصر كانت فريدة جِدًّا ؛ لأنه كان من أوائل الذين دعوا إلى الثورة وساندوها .

ويدافع توفيق الحكيم عن نفسه فيقول : « إنني بما كَتَبْتُ لم أكن أتجني علي عبد الناصر كما يقولون ، إنني ... أُحِبُّه وأُقَدِّرُهُ ، ولكنني أضع اجتهاداته في موقعها » [20] ، وأن قصة (عودة الوعي) أنني في عام 1972م ، وبمناسبة الاحتفال بمرور عشرينَ عامًا

(18) توفيق الحكيم : في الوقت الضائع (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م ، ص 26 – 27 .
(19) توفيق الحكيم : مصر بين عهدين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م ، ص 146 – 147 .
(20) توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر ، ص 470 .

على ثورة يوليو ، وَجَدْتُ نَفْسِي في أزمة قاسية ، أسأل : لِمَاذا يَصْطَدِمُ جِيلُ الثورةِ بالثورة ؟ ماذا فعلت بنا الثورة ؟ وماذا فعلت لنا ؟ وجوابًا عن هذا السؤال كتبت انطباعاتي في (عودة الوعى) ، غيرَ قَاصِدٍ نشرها ، إنه – في حقيقة الأمر – يُطَالِبُ بفحص عهد صار جُزْءًا من التاريخ ، ومن الخطأ في حالة كهذه ، التعجُّل في إصدار الأحكام المُطْلَقة ذات اليمين أو ذات اليسار ؛ ولذلك لا بُدَّ من فتح ملف ثورة 1952م؛ لنصل إلى الحقيقة [21]

ويطالب « بالتحقيق الدقيق في اتهامات منسوبة إلى شخص كان رمزًا لأُمَّة ؛ فإن محاسبته العامَّة تصبح حقًّا من حقوق الأُمَّة » [22] .

ويقول : « إني أرجو أن يبرئ التاريخ عبد الناصر ... لقد كانت ثقتي بعبد الناصر تجعلني أحسن الظن بتصرفاته ... وفوق ذلك فإني لم أَكُفَّ عن كتابة ما أراه مِمَّا عَدُّوهُ خَطَرًا ... ولستُ أُبَرِئُ نفسي ؛ لأن إدانتي الحقيقية هي فقدان الوعي الكامل بالوضع ... ولا تفسير لذلك سوى أن مصر ... حُجِبَتْ عنها كل المعلومات ، وأُخْفِيَت كل الحقائق ، وأُعْلِنَتْ كل الأكاذيب بكل وسائل النشر والإذاعة والإعلان » [23] .

ويسوق توفيق الحكيم الدليل على أن الشعب المِصْرِيّ لم يكن وَعْيُه حَاضِرًا ؛ فإنه بعد نكسة 1967م ، بدلاً من أن يسأل جمال عبد الناصر – ولو برفق ومحبة – عن أسباب الهزيمة ، تعلق به أكثر ؛ لأنه جَرَّدَهُ طُول الأَعْوَام من كل فكر مستقل ، ومن كل شخصية قوية غير شخصيته هو ، وبَقِيَ هو يتنصل مِنْ هَزِيمَتِهِ ، ويُقَدِّمُ قُوَّادَهُ إلى المُحَاكَمَات ، ويُلْقِي عَلَيهُمُ التَّبِعَات ؛ فالمسئولون – دائمًا – هم الآخرون ، وينبغي إبعاد شخص الزعيم عن كل مسئولية [24] .

وقد هاجم محمد حسنين هيكل توفيق الحكيم ، الذي رَدَّ عليه بقوله : « استلفت نظري أن الأستاذ هيكل المدافع عن عبد الناصر قد رَدَّ على نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ حين وصف مَنْ نَقَدُوا اليومَ حُكْم عبد الناصر بأنهم أشباح خائفة ضعيفة ، وهذا صحيح ، لكن هل توجد الأشباح الخائفة الضعيفة إلا في جو من الفزع والرعب ؟ لماذا إذن لا توجد أشباح خائفة ضعيفة في بلاد مثل فرنسا وإنجلترا وأمريكا والسويد وغيرها من البلدان التي لا يعيش

(21) انظر : المرجع السابق ، ص 471 .
(22) توفيق الحكيم : عودة الوعي ، ص 124 .
(23) توفيق الحكيم : عودة الوعي ، ص 82 – 83 .
(24) انظر : المرجع السابق ، ص 89 – 90 .

أهلها في الرعب والهلع من التعذيب والمعتقلات وتشويه الآراء المعارضة بتلطيخها بتهم التآمر والخيانات ؟ » [25] .

ويجب التنويه على أن الحكيم لم ينتهز فرصة موت عبد الناصر لنشر كتابه ؛ فقد أبدى رأيه واضحًا في عصر عبد الناصر ، يقول : « فقد خِفْتُ يومًا أن يجورَ سيفُ السلطان في يده على القانون والحرية ؛ فَكَتَبْتُ (السلطان الحائر) ، ثُمَّ خِفْتُ أن يكونَ غافلاً عَمَّا أصاب المجتمع المصري قبل حرب 1967م من القلق والتفكُّك ؛ فيعتمد عليه في الإقدام على مغامرة من المغامرات ؛ فَكَتَبْتُ (بنك القلق) » [26] .

وآراء توفيق الحكيم لا تختلف عَمَّا أبداه في (عودة الوعي) ، « ولكن الفرق أنه قالها بطريق الفن من خلال قناع التعبير الفنيّ ، ولم يقلها بطريقة المقالة المباشرة كما في (عودة الوعي) ، وحتى في عهد الرئيس محمد أنور السادات كان لتوفيق الحكيم مواقفه ؛ ففي ١٩٧٣م فُصِلَ توفيق الحكيم من الاتحاد الاشتراكيّ مع أكثر مِنْ سِتِّينَ كَاتِبًا ؛ فأصدروا بيانًا كَتَبَهُ توفيق الحكيم بِخَطِّه ، يُطَالِبُ فيه الدولة بوضع حَدٍّ لسياسة اللاسلم واللاحرب التي عانى منها الشعب ، وتوضيح الرؤية للشعب بمصارحته بالحقائق ، وقبل أن يصل البيان إلى المسئولين ... نشره سعيد فريحه تحت عنوان (أدباء مصر وكُتَّابها ضِدّ السادات ) ومع أن البيان أكد تقدير الموقعين عليه لوطنية رئيس الدولة ؛ فإنه لَمْ يَسْلَمْ أَحَدٌ منهم مِنْ عِقَاب الفَصْل ، غير أن السادات أراد احتواء الموقف ؛ فطلب من عبد القادر حاتم أن يحضر ومعه توفيق الحكيم للقائه ، وطلب هذا الأخير إعادة الذين أُضِيرُوا ... إلى أعمالهم التي أُبْعِدُوا عنها ، وقال : (فأنا رأس البلاء بالنسبة إليهم) ؛ فَرَدَّ عليه : (بل أنت رأس الحكمة) ، وفي الخطاب الذي ألقاه محمد أنور السادات أمام اللجنة المركزية في 28 سبتمبر 1973م أعاد الذين أبعدوا بقرار من لجنة النظام بالاتحاد الاشتراكيّ لتوقيعهم في البيان » [27] .

ولذلك نستطيع أن نقول إن توفيق الحكيم أوهمنا أنه يكتب للمسرح ، ومن أجل الفن ، وأنه لا شأن له بالسياسة ، ومن خلال قراءة أعماله اتضح أنه كَتَبَ في السياسة أكثر من كُتَّاب السياسة ، وأن كتاباته كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في المجتمع .

---

(25) محمد محمود عبد الرازق : توفيق الحكيم والحضارة الغربية ، ص 274 .
(26) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(27) محمد محمود عبد الرازق : توفيق الحكيم والحضارة الغربية ، ص 289 – 290 .

وقد كانت للحكيم العديد من المؤلفات في السياسة ، منها ما ظهر في كُتُب مُسْتَقِلَّة ، مثل : (براكسا أو مُشْكِلَة الحُكْم) سنة 1939م ، و(صلاة الملائكة) سنة1941م ، و(إيزيس) سنة 1955م ، و(رحلة إلى الغد) سنة 1957م ، و(لعبة الموت) سنة 1957م ، و(أشواك السلام) سنة 1957م ، و(السلطان الحائر) سنة 1960م ، و(الطعام لكل فم) سنة 1963م ، إلى جانب روايته المسرحية (بنك القلق) سنة 1967م .

أما مقالاته السياسية ؛ فقد جمع مجموعة من مقالاته في كتب ، منها : (تأملات في السياسة) سنة 1954م ، و(شجرة الحُكْم السياسيّ في مصر (1919–1979) سنة 1985م .

وقد كانت لتوفيق الحكيم كثيرٌ من المُؤَلَّفات في السياسة ، وتنوعت موضوعات اهتمامه في هذا المجال ؛ فقد عَاصَرَ حَرْبَينِ عَالَمِيَّتَينِ (الحرب العالميَّة الأولى والثانية) ، وخمسة حروب عربية : (اليمن – فلسطين – النكسة – الاستنزاف – حرب أكتوبر) ؛ لذا شغلت قضيَّة الحرب والسلام جانبًا واضحًا من فكره وإنتاجه السياسيّ ، وهاجم الديمقراطية الزائفة ، وكَتَبَ في العلاقة بين رجل الفكر ورجل السياسة ، وكانت معظمُ مسرحياته السياسيَّة استجابةً لأوضاع معاصرة ، ورصدًا لانحرافات رجال السياسة .

## تَوظِيفُ تَوفِيق الحَكِيم لِلرَّمْزِ السِّيَاسِيّ :

الرمزُ وجهٌ من وجوه التّعبير الفنيّ ، وقد تعددت تعريفات الرمز، إنَّهُ « يشير إلى معنى أو فكرة مُعَيَّنة يمكن قراءتها به ، وما يتضمنه من وحدات تصوريَّة قابلة للتأويل على وَفْق المُعْطَيَات الفكريَّة والعقائديَّة السائدة في الواقع المُعَاش » [28] .

وغيرُ خَافٍ أنَّ الأديبَ يلجأ إلى استخدام الرمز في الأوقات التي لا يستطيعُ التحدُّث فيها بِحُرِّيَّة ؛ خوفًا على نفسه من البطش والتنكيل ؛ فيلجأ إلى الإسقاط باستخدام الرمز أو توظيف أحداث تاريخيَّة ، تُعَبِّرُ عن الواقع بطريقة غير مباشرة .

وظهر أَوَّل توظيف للرمز عند توفيق الحكيم في مسرحيته الرمزية الساخرة (الضيف الثقيل) ، وكانت ترمز إلى معنى الاحتلال في صورة عصريَّة انتقاديَّة، وقد منعت الرقابة عرض هذه المسرحية ؛ في ظِلِّ هذه الأوضاع ؛ حيثُ كانت الثورة على أَشُدّهَا ، والرقابة شديدة على المسارح .

---

(28) محمد جاسم مطرود ، زيد ثامر عبد الكاظم : فاعلية الرمز في نصوص السيرة الدرامية ؛ دراسة تحليلية ؛ مسرحية الحسين الآن أنموذجًا ، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل ، المجلد (23) ، العدد (4) ، 2015م ، ص 5 .

وفي عام 1938م في أثناء عمل توفيق الحكيم مديرًا للتحقيقات كتب مقالاً بعنوان (أنا عَدُوّ المرأة والنظام البرلمانيّ) ، وعَلَّلَ ذَلِكَ بأن طبيعة الاثنينِ في الغالب واحدة ، وهي الثرثرة [29] .

وكان مضمون رأيه الذي أَذَاعَهُ يَنُصُّ على أن النظام البرلمانيّ في مصر هو الأداة الصالحة لتخريج الحُكَّام غير الصالحين .

وأحدث هذا المقال ضَجَّةً كبيرة ، وتم توقيع عقوبة على توفيق الحكيم ، وهي خَصْم خمسة عَشَرَ يومًا مِنْ مُرَتَّبِهِ ، وعندئذٍ قَرَّرَ توفيقُ الحكيم تقديم استقالته من الحكومة ، ولكن نصحه بعض الأصدقاء بالبقاء في الوظيفة والاستمرار في مواقفه ، ومن هنا دخل توفيق الحكيم مجال السياسة والرمز ، يقول: « بَقِيتُ فِي وظيفتي بعد توقيع العقوبة بالخصم وقرار الاستقالة أُوَاصِلُ الكتابة والنشر في نفس الاتجاه ... واتخذت روح السخرية بالحوار مع الحمار » [30] .

## أ) الرَّمْزُ الخَاصُّ :

الرَّمْزُ الخَاصُّ « من إبداع الأديب نفسه ، أو يمكن القول إِنَّهُ رمز جديد لم يتم استهلاكه وهضمه » [31] .

وبعد تعرُّض توفيق الحكيم للعقوبة كتب مجموعة مقالات قام فيها بالحوار مع الحمار ، واتخذ فيها الحمار رمزًا ؛ للسخرية من الأوضاع السياسية الراهنة ، وجمع هذه المقالات في كتاب (شجرة الحكم السياسي في مصر) ، ونعرض منها على سبيل المثال مقال : (حماري يشتغل بالسياسة) [32] .

ويدور هذا المقال حول أن حمار توفيق الحكيم قرر الاشتغال بالسياسة ، وجاء الحمار يسأل توفيق الحكيم عن الحزب الذي ينضم إليه ، ويتفق مع مبادئه ؛ فدار بينهما الحوار الآتي : « الحمار : ما هو في نظرك الحزب الذي يتفق مع مبادئي ؟؟

الحكيم : أُحِبُّ أَوَّلاً أن أتشرف بمعرفة مبادئك .

---

(29) انظر : توفيق الحكيم : شجرة الحُكْم السياسي في مصر ، ص 127 .

(30) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(31) نورة تواتي : الرمز في المسرح التاريخي الجزائري بين الفترتين (1938 - 1952) ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس كلية الآداب واللغات ، جامعة أكلي محند أولحاج ، البويرة ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، 2013م ، ص 5 .

(32) انظر : توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر (1919 - 1979) ، ص 144 - 149 .

الحمار : مبادئي معروفة : العمل لمصلحة الغير ، وإنكار المصلحة الشخصية ، ذلك هو المأثور عن جنسنا وفصيلتنا منذ ظهرنا علي الأرض ؛ حَتَّى لقد جرى الناس على أن ينعتوا كل مَنْ يَكِد ويجد بأنه (حِمَار شُغْل) ؛ فمبادئنا هي كما ترى أن نُنْتِجَ ونُنْتِجَ ولا نبغي من وراء إنتاجنا منفعة لِذَاتِنَا ...

الحكيم : تلك بالطبع مبادؤك باعتبارك حمارا ، ولكنك تريد ، على ما فهمت الانضمام إلى حزب من أحزاب البشر .

الحمار : نعم ، وهل يقتضي ذلك أنْ أُغَيِّرَ هذه المبادئ ؟؟

الحكيم : تغيير طفيف ، كلمة واحدة صغيرة ضعها خلف عبارتك ليكون مبدؤك سليمًا في عُرْف البشر ، ضَعْ كلمة (لا) ، أي : لا إنتاج للغير ، ولا إنكار للذات .

الحِمَار : عَجَبًا !!! ... وما فائدة الحِزْب السياسيّ إذن ؟؟

الحكيم : فَائِدَتُهُ نَفْع ذَاته ، أليست هذه فائدته ؟ » [33] .

يتضح من الحوار السابق سخرية توفيق الحكيم من النظام الديمقراطيّ الفاسد ، واعترافه بأنَّ الأحزابَ السياسيَّة ليس لها فائدة ، وأن أصحاب هذه الأحزاب لا ينظرون إلا للمنفعة الذاتية ، وبذلك يتفوق عليهم الحِمَار ؛ لأنه يعمل من أجل منفعة غيره .

ويواصل توفيق الحكيم سخريته ، يقول : « لا تَنْسَ أَنَّنَا نتكلم الآن في محيط السياسة ، والسياسة في كل زمان هي اللباقة أو المُهَاتَرة أو الخفة أو البراعة أو الكياسة التي تستطيع بها أن تَسْحَبَ خَاتم السلطة من إصبع منافسك ، وتضعه في إصبعك ... إلى أنْ يُغَافِلَك المُنَافِس وينتهزَ مِنْكَ فُرْصَة ؛ فَيَسْحَب – بِدَورِهِ – الخاتم مِنْ إِصْبَعك ، ويَضَعَهُ فِي إِصْبَعِهِ » [34] .

وهنا يُوَضِّحُ توفيق الحكيم التكالُب بين الأحزاب السياسية ؛ من أجل الانفراد بالسُّلْطَة والحُكْم يقول : « الحِمَار : والشعب ؟ ... أهو قانع بمجرد المشاهدة ؟ ...

الحكيم : ومن قال لك أنه قانع ؟ لقد دخل هو أيضًا حَلْبَة اللَّعِب ، وجعل الشعب مبدأه ذلك المثل الشعبيّ القديم : (مَنْ تَزَوَّجَ أُمِّي قُلْتُ لَهُ : يَا عَمِّي) ، والأُمّ – هنا – هي السلطة ؛ فلا غرابة في خروج الناس أفواجًا من الحزب الذي خلا من السلطان ؛ ليدخلوا أفواجًا في الحِزْب الذي لمع فيه الصولجان .

---

(33) المرجع السابق ، ص 145 .
(34) توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر(1919 - 1979) ، ص 146 .

الحِمَار : بيني وبينك ... ألا تظن أن هذه الحال في مجتمعكم يجب أن تصلح ؟ » [35] .

ويُوَضِّحُ توفيق الحكيم دور الشعب الخامل ، ويسخر منه ؛ لأنه يُشَاهِدُ ما يَحْدُثُ من تَنَازُعٍ على الحُكْم ، لكنه ليس لديه اليقظة والفطنة التي تجعله يُمَيِّز بين مَنْ يقوم بخدمته ومَنْ يستغله .

وينصح توفيق الحكيم الحمار بعدم الاشتغال بالسياسة ؛ لأن مبادئ الحمار لا تتناسب مع مبادئ الأحزاب ، يقول له : « إني أَعْلَمُ مُنْذُ الآنَ ما سوف يَحْدُث ؛ فاجلس حيث أنت ، واسمع نصيحتي إنك لن تُؤَثِّرَ فيهم بمبادئك ، ولكنهم هم الذين سيؤثرون فيك بمبادئهم ، ولن يمضي وقت طويل حتى ترى أنك لم تَعُدْ حِمَارًا » [36] .

ويفهم قارئُ هذَا الحِوَار أن مَنْ يشتغل بالسياسة ، وإن كان يريدُ العملَ لِمَا فيه الخير ؛ سَيُؤَثِّرُ فيه مَنْ حوله ، ويُصْبِحُ فاسدًا مثلهم ، وتوفيق الحكيم – هنا – يؤكد وجهة نظره التي جعلته يبتعد عن الانضمام للأحزاب السياسية .

ووظف توفيق الحكيم الرمز في مسرحية (أشواك السَّلام) [37] ، التي نشرها عام 1957م ، وتحدَّث فيها عن قضية الحرب والسلام ، وتدور أحداث هذه المسرحية حول شاب دبلوماسي من ألمع شباب السلك السياسي وهو ابن محافظ الغربية ، وقد أُعْجِبَ بفتاة ، وأراد خِطْبتها ، وهي ابنة محافظ الشرقية ، ولكن المُحَافِظَانِ لم يوافقا على ذلك ؛ لأن والد الشاب اتَّهَمَ والد الفتاة بأنه قتل زوجته لأنه شَكَّ في سلوكها ، ويتهم والدُ الفتاة والدَ الشاب بأنه له علاقات نسائية متعددة ، ويحاول كُلاًّ من المحافِظَينِ إنهاء موضوع الزواج عن طريق تزييف صورة فوتوغرافية لكل من الفتى والفتاة غير لائقة ، ولا محالة أن ذلك يحول دون إتمام الزواج ، وبالفعل تم ذلك ، ولكن الخطيب أراد أن ينهي الموضوع بطريقة مُتَحَضِّرَة ، ويوضح للخطيبة سبب هجره لها ؛ فجعلها تقابله في المطار عند رحيله إلى جنيف ؛ ليواجهها بصورتها مع شاب يحيط معصمها بسوار ، وأنكرت الفتاة ذلك ، وقامت بمواجهته بصورة له مع فتاة ، وأنكر أيضًا ، واكتشف كُلٌّ منهما براءة الطرف الآخر ، وتصالحا ، وعادت الأمور إلى طبيعتها .

---

(35) المرجع السابق ، ص 147 .
(36) المرجع نفسه ، ص 149 .
(37) انظر : توفيق الحكيم : أشواك السلام ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1، 1988م .

وذهب الشاب مع أسرته لخطبة الفتاة ، وتقابل المحافظان في بداية الأمر مقابلة عدائية ، ولكن ما إن تحدثا مع بعضهما ، حَتَّى أصبحا أصدقاء.

هذا هو الإطار الخارجيّ الذي غَلّف به توفيق الحكيم مسرحيته ؛ فقد كان للمسرحية هدفٌ سياسي ، كما استخدم فيها الرمز ؛ « فمحافظ الشرقية يرمز لساسة المعسكر الشرقي ، ومحافظ الغربية يرمز لساسة المعسكر الغربي ، وما بينهما من اتهامات متبادلة إنما هو تصوير للحرب الباردة بين المعسكرين ، التي كانت تهدد العالم بحرب عالمية ساخنة » [38] .

وظهر هدف المسرحية السياسيّ منذ البداية في مواقف الشابّ بمؤتمر السلام الدوليّ بجنيف ؛ فالشاب دبلوماسيّ معروف يسعى لتحقيق السلام ، ويضع خُطَط مستقبليَّة لنفسه ؛ فبعد أن يتحقق أمله في مؤتمر جنيف ويتحقق السلام ، سيترك السلك السياسي ، ويقوم بتربية الحَمَام ، ولا يَخْفَ على القارئ أن الحَمَام رمز السلام.

وعندما يعرض الشاب مذكرته التي تدعو إلى السلام على المؤتمر يجد تشجيعًا من الحاضرين ، إلا أنه ينتظر رد الدُّول العُظْمَى التي تتحكم في العالم كله .

ويتم رفض المذكرة ، ويقف كُلٌّ من المعسكرينِ الكبيرينِ في وجه السلام يهتفان له حَقًّا ، ولكنهما يُعِدَّانِ له الكمين بعد الآخر ؛ وذلك بسبب الشكوك والأوهام ، واعتقاد كُلٍّ من الجانبين أن الجانب الآخر يستعد للحرب ، ويتضح ذلك من العبارة الآتية : « كُلٌّ مِنَ المُعَسْكَرَينِ يَتَّهِمُ الآخرَ بالاستعداد لإثارة الحرب ، وكُلٌّ مِنْهُمَا يُشِيرُ إلى وثائق تحت يده ، وصور فوتوغرافية استطاع أن يحصل عليها لأسلحة سِرِّيَّة مُدَمِّرَة » [39] .

تلك الوثائق تُوَضِّحُ أَنَّ كِلا الطرفين رَسَمَ للآخر صورة بغيضة ، وبذلك ألقى أشواكًا في طريق السلام ، وهذه الأشواك ليس من السهل إزالتها ، ولا شَكَّ في أن سُوء الظّنّ المُتَبَادَل بين ساسة المعسكرين هو الذي يهدد السلام ؛ فالشعوب كلها تُنْشِدُ السلام ، وتلك الحروب من تدبير القادة ، ولذلك يدعو توفيق الحكيم الدُّول الكُبْرَى لنبذ الخلاف ؛ لكي يَنْعَمَ العالَمُ بالسلام .

(38) فؤاد دواره : مسرح توفيق الحكيم ؛ المسرحيات السياسيَّة ، ص 118 .
(39) توفيق الحكيم : أشواك السلام ، ص 81 .

## ب) الرَّمْزُ التُّرَاثِيُّ :

التّراث هو الجوهر المعبِّر عن الأمّة وحضارتها ، إنه مَنْبَعٌ عَذْبٌ وَفِير ، يَنْهَلُ كُلُّ أديبٍ مِنْ رُمُوزِهِ المُخْتَلِفَة ، ويكون إمّا أسطوريًّا ، وإمَّا دينيًّا ، وإمَّا أدبيًّا ، وإمَّا تاريخيًّا [40] .

ويمتلكُ الرمزُ « طبيعة غنيّة وطاقة إيحائيّة ، ويفتح آفاقًا خلاقة أمام المبدع والمتلقي ... ويستقي المبدعُ رُمُوزَهُ دينيّة كانت أو أسطوريّة أو تاريخيَّة بدقة ، ويُسْقِطُهَا على الواقع بطريقة جماليَّة فنيّة ... وتتحقق قيمة الرمز في مدى انسجامه مع النّسيج الكلّيّ للعمل الأدبيّ » [41] .

ونجد توظيف للرمز التراثي الأسطوري عند توفيق الحكيم في مسرحيته (إيزيس) ، التي نشرت عام 1955م ، واستلهم توفيق الحكيم فيها الأسطورة القديمة (إيزيس وأوزوريس) ، ووظفها في مسرحيته .

تنص أسطورة (إيزيس وأوزوريس) على أن أوزوريس عَلَّمَ الناس الزراعةَ ، وكيفيَّة صناعة الأدوات الزراعيَّة ، وكان يحكم مِصْرَ بالعدل ، ولكن ملأ الحقد صدر أخيه (سيت) ؛ فقتله ، ووضع جسده في صندوق خشبيّ وألقاه في المياه ؛ فحملته المياه إلى مدينة ببلوس ، وحين عَلِمَتْ إيزيس بأمره ، طالبت باستعادة أوزوريس ؛ فكان لها ما أرادت ، وعادت به إلى مصر ، وعَثَرَ (سيت) على الصندوق ؛ فَمَزَّقَ جسد أوزوريس إلى أربع عشرة قطعة ، ووزعها في البلاد ، ولكن إيزيس عاودت البحث عن أوزوريس ، وعثرت على أجزائه المُبَعْثَرَة ، ونفخت فيه الروح ، وأعادته إلى الحياة ، ولكن أوزوريس بعد عودته إلى الحياة لم يُفَضِّلْ قضاء بقية حياته على الأرض ؛ لذا هَبَطَ إلى العالَم الأسفل ليغدو حاكمًا في مملكة الموتى ، بينما ابنه (حورس) يتابع مقارعة عَمِّهِ سيت [42] .

وتدور أحداث مسرحية (إيزيس) لتوفيق الحكيم حول أن الملك أوزوريس كان يعمل على خدمة أهل وطنه ، وكانت له مكانة في قلوب الناس ؛ فدفعت الغَيرة أخاه طيفون

---

(40) انظر : نورة تواتي : الرمز في المسرح التاريخي الجزائري ، ص 4 .
(41) فاروق إبراهيم مغربي ، نجود إبراهيم ديب : تجليات الرمز في نصوص سعد الله ونوس المسرحية (1990-1997) ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، اللاذقية ، سورية ، المجلد (36) ، العدد (3) ، 2014م ، ص 450 .
(42) انظر : فراس السواح : لغز عشتار ؛ الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين ، سورية ، دمشق ، ط8 ، 2002م ، ص 321 .

لقتله ؛ فدعاه طيفون إلى وليمة كبيرة هو وعدد من الأشخاص ، وفي أثناء الوليمة أمر بإحضار صندوق فخم بديع النقوش مُرَصَّعًا بالأحجار الكريمة ، وقال إنه سيهديه لمن يلائم قامته ، وأخذ كل فرد من الحضور يُجَرِّب الصندوق ؛ فلا يجده ملائمًا ، وجاء دور أوزوريس ؛ فوضع نفسه في الصندوق ؛ فإذا بأتباع طيفون يسرعون بإغلاق الصندوق عليه ، وألقوا الصندوق في النهر ، وعثر عليه جماعة من الملاحين ، وباع البحارة الصندوق بما فيه إلى ملك ببلوس ، وعامله الملك معاملةً حسنة ، وكان يناديه بـ(الصديق المصري) ، وتفانى أوزوريس في خدمة ملك ببلوس وشعبه ، وحَظِيَ باحترام الناس ، واستطاعت إيزيس (زوجة أوزوريس) أن تلتقط أنباء الصندوق ، وذهبت إلى مملكة ببلوس ، وقابلت زوجها ، وبعد حوارهما مع ملك ببلوس قاما بمصارحته بالحقيقة كاملة ؛ فوافق آسِفًا على عودتهما إلى وطنهما ، وعادا إلى مصر ، وعاشا في بيت صغير بعيدًا عن الأنظار ، وأنجبت إيزيس ابنهما حورس ، بينما واصل أوزوريس خدمة الشعب ، وأصبح معروفًا باسم (الرجل الأخضر) ؛ لأنه جعل صحراء هذه المنطقة خصبة ، دون أن يعرف أحد حقيقته .

ويصل إليهما مسطاط وتوت (كاتبان) ، ويقول مسطاط لإيزيس أنه قد ساء حكم طيفون وعم الفساد في البلاد ؛ ولذلك لا بُدَّ من أن يعرف الناس الحقيقة ، ويعود أوزوريس إلى الحُكْم ، ولكن إيزيس تقول إنه كَرِهَ الحُكْم ، ولَمْ يُفَكِّر في العودة إليه ، وتخاف إيزيس على زوجها من طيفون ، وتحذره ، قائلةً : « إذا شَمَّكَ أنف طيفون ، وتحرى ؛ فهنا الخطر ؛ فأجاب : ما من خطر يقعده عن خدمة الناس » [43] ..

وبالفعل عَلِمَ طيفون أمر أوزوريس فأرسل أعوانه ، وقاموا بقتل أوزوريس ، وقطعوه إربًا إربًا ، ووضعوا كل عضو من أعضائه في كيس ، ووَزَّعُوهَا على أماكن متفرقة ، وبعد خمسة عشر عامًا ، تجوب إيزيس فيها القفار خوفًا على ولدها من عيون طيفون ، وخلال هذه السنوات كانت تعلمه الخصال الطيبة في أبيه ، ووضعته في يدي توت ومسطاط ؛ حَتَّى يَتَعَهَّداهُ بالتهذيب .

ولكن ترى إيزيس أن الشرَّ لا يمكن أن ينهزم إلا بنفس وسائله ؛ فتتصل بشيخ البلد ، وتكون على ثقة بأنه سيساعدها ؛ لأنَّ طيفون غَدَرَ بِهِ ، وتَعِدُهُ بأن تعطيه نصف ذهبها ، وذلك لمساعدتها على أن يتغلب ابنها حورس على طيفون .

---

(43) توفيق الحكيم : إيزيس ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص 75 .

وقام حورس بمبارزة طيفون إلا أنه لم يقوَ على خَصْمِهِ ؛ فانهزم ، وَهَمَّ طيفون بقتله لولا تدخُّل شيخ البلد ، الذي نصح طيفون بأن يحتكم للشعب ، واجتمع الشعب في هيئة مَحْكَمة ، وأنكر طيفون أن يكون حورس ابنًا لأخيه ، وطعن إيزيس في شرفها ، وطلب من الشعب أن يحكم بإعدام حورس ، وكاد الشعب أن يضل لولا وصول ملك ببلوس ، الذي أكد رواية إيزيس ، وكان يحمل معه الصندوق الذي دُفِنَ فيه أوزوريس ، وأُلْقِيَ في النيل .

وعندما عرف الشعبُ الحقيقةَ ثار على طيفون ، الذي فر هاربًا من أمام الشعب ، وحمل حورس على أعناقه ؛ ليجلسه على عرش أبيه ، ويكفى إيزيس أن الشعب قد عرف الحقيقة .

وبعد هذا العرض نستطيع القول إن توفيق الحكيم « احتفظ بجوهر الأسطورة ، واحتفظ بمعظم شخصياتها وأهم وقائعها ، وأنه قد جَرَّد الأحداث في المسرحية من العناصر الخُرَافِيَّة ، وجَرَّدَ الشخصيات من صفات الألوهية، وحذف كثيرًا من تفصيلات المسرحية ، وأضاف تفصيلات أخرى من ابتكاره ؛ وذلك لكى تتلاءم مع مضمونه الجديد » [44] ؛ وذلك لكي يستطيع تصوير الصراع بين الخير والشر ، والصراع بين رجل العلم ورجل السياسة .

لقد كان التّاريخ مستودعًا ثريًّا استلهم منه عدد من الأدباء موضوعات نصوصهم الأدبيّة ، ومن هؤلاء الأدباء توفيق الحكيم ، الذي وَظَّفَ كثيرًا من الأحداث والشخصيات التاريخية في عدد من أعماله ، منها : (السلطان الحائر) التي كتبها في عام 1959م ، ونُشِرَتْ عام 1960م .

فقد استلهم توفيقُ الحكيم واقعة تاريخيَّة ، وبنى عليها مسرحيَّة (السُّلطان الحائر) ، وتدور الواقعة في زمن عز الدين بن عبد السلام ، يقول توفيق الحكيم : « في تاريخنا نجد أن الشيخ العز بن عبد السلام قاضي القضاة في أول عهد المماليك يُفْتِي بأن ولاية المماليك ليست شرعية ؛ لأنهم مملوكون لبيت المال، والمفروض في ولي أمر المسلمين أن يكون حُرًّا ... ويُصِرُّ على بيعهم في السوق؛ حتى تَتَحَوَّل ملكيتهم من بيت المال إلى مَنْ يستطيع أن يهبهم حريتهم ، ويتعرض قاضي القضاة بسبب فتواه لغضب المماليك الحكام ، ولكنه لا يتحول عن فتواه ، ويُصِرُّ على تنفيذها، وبالفعل نَفَّذَهَا » [45] .

---

(44) فؤاد دواره : مسرح توفيق الحكيم ؛ المسرحيات السياسيَّة ، ص 182 .
(45) توفيق الحكيم : ملامح داخلية ، ص 117 .

هذه الحادثة هي التي بنى عليها توفيق الحكيم مسرحية (السلطان الحائر) ، إلا أنه بعد ذلك طوّر في أحداث المسرحية بطريقة تتناسب مع ما يريد أن يوصله إلى الحاكم ؛ فقد كان يهدف من وراء هذه المسرحية إلى نقد بعض الأوضاع في مُدَّة حُكْم الرئيس جمال عبد الناصر .

والدليل على ذلك قول توفيق الحكيم : « قد كانت هناك ظواهر دفعتني إلي مواجهتها بالوسائل التي كانت في يدي ، من ذلك ظاهرة خَنْق الحُرِّيَّة ... وهنا رأيت من واجبي أن أَكْتُبَ (السلطان الحائر) ؛ لأوضح وجوب احترام القانون والحُرِّيَّة ، والابتعاد عن استعمال السيف والعنف»[46] .فكان توفيق الحكيم عندما يلاحظ بعض مظاهر الفساد ، يَكْتُبُ شيئًا يُفْهَمُ منه ما يرمي إليه ، يقول : « فقد خِفْتُ يومًا أن يجور سيف السلطان في يده علي القانون والحُرِّيَّة فكتبتُ (السلطان الحائر) » [47] .

لجأ توفيق الحكيم إلى الإطار التاريخيّ منذ بداية المسرحية ، وغَلَّفَ به المسرحية كلها ؛ وذلك لكي يتمكن من أن يُحَمِّلَ المسرحية الإسقاطات السياسية والرمزية التي يصعب أن يعبر عنها بطريقة مباشرة في ظل حكومة الثورة وقمعها للحرية ، واختار الحقبة الزمنية التي حَكَمَ فيها المماليك ؛ وذلك لأنها اشتهرت بالفساد ، يقول : « ساحة بالمدينة في عصر المماليك الفجر يكاد يبزغ »[48].

وأحداث المسرحية تدور في وقت محدد له دلالات معينة وهو (ساعات الليل المظلمة) ؛ فالسواد رمز و « دلالة على الظلام والظلم والقهر والقمع الذي يعيش فيه الشعب ويعانى منه في فترة حكم جمال عبد الناصر » [49] .

وتُفتتح المسرحية على مشهد شخص محكوم عليه بالإعدام دون أن يُقَدَّمَ للمحاكمة ، وهذا المشهد يُعَدُّ رمزًا لما كان يحدث في عصر الرئيس جمال عبد الناصر من المحاكمات غير العادلة ؛ وذلك من أجل إسكات أي صوت يحاول التعبير عن الظُّلْم الذي يعاني منه المواطنون ، أو ينتقد سياسة الرئيس .

وينبغي تأكيد أن توفيق الحكيم لم ينقل الأسطورة أو الواقعة التاريخية كما هي ، وإنما غَيَّرَ في الأسطورة ليستطيع من خلالها التعبير عن الواقع الراهن ، وكذلك نسج الأحداث

---

(46) انظر : توفيق الحكيم : شجرة الحكم السياسي في مصر ، ص 402 .
(47) محمد محمود عبد الرازق : توفيق الحكيم والحضارة الغربية ، ص 313 .
(48) توفيق الحكيم : السلطان الحائر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م ، ص 11 .
(49) انظر : آمال قدوري : الكوميديا في مسرح توفيق الحكيم ، ص 48 .

التاريخية نسجًا جديدًا ؛ ليُصَوِّرَ القضايا المتعددة التي أراد التعبير عنها بطريقة غير مباشرة .

## الخاتمة ونتائج البحث

بعد دراسة مسرح توفيق الحكيم السياسي واستخدامه للرمز السياسيّ انتهى البحث إلى النتائج الآتية :

توفيق الحكيم من الأوائل الذينَ لهم قصب السَّبْق في توثيق دعائم المسرح العربيّ ، وأتاح له ذلك أن يأخذ مكانته اللائقة به في العالم العربيّ ؛ فيُعَدّ من أهم كُتَّاب القرن العشرينَ ؛ فقد كان رائدًا في المسرح والرواية والقصة والمقالة الصحفية .

كَتَبَ كثيرٌ مِنَ المؤلفات السياسيَّة ، وتَنَوَّعَتْ موضوعاتُ اهتمامه في هذا المجال ؛ فقد كَتَبَ في قضيَّة الحرب والسلام ، وهاجم الديمقراطيَّة الزائفة ، وكَتَبَ في العلاقة بين رجل الفكر ورجل السياسة ، وكانت مسرحياته السياسيَّة استجابةً لأوضاع معاصرة ، ورصدًا لفساد رجال السياسة .

وعلى الرغم من دور توفيق الحكيم السياسيّ ؛ فإنه لم ينضم إلى أيّ حزب سياسيّ ، وقَرَّر أن يعتصمَ في برج عاجيّ ينعزل فيه عن السياسيين لا عن السياسة ، وعن الأحزاب لا عن المجتمع ، كما أنه ابتعد عن الحُكَّام ؛ وذلك لإيمانه بأن الحاكمَ يُرِيدُ أنْ يَسْمَعَ تأييدًا لا اعتراضًا .

لقد بلغ توفيقُ الحكيم الشهرةَ الواسعة التي تَمَتَّعَ بها بالأدب وَحْدَهُ ، دون الاعتماد على الانضمام إلى الأحزاب السياسية .

وعلى الرغم من مكانة جمال عبد الناصر عند توفيق الحكيم وحُبّه له ؛ فإن ذلك لم يمنعه من انتقاد بعض سياساته سواء في حياته – عن طريق عمل أدبي أو مقالة – أو بعد مماته ، كما فعل في كِتَابِهِ (عودة الوعي) ؛ الذي انتقد فيه عهد حُكْم جمال عبد الناصر .

وحاول توفيق الحكيم التعبير عن آرائه بطريقة مُبَاشِرَة ، ولكنه تعرض لبعض المشاكل بسبب هذه الصراحة ؛ فقرر استخدام (الرمز الخاصّ) ، أو (الرمز التراثيّ) ؛ لكي ينتقد الواقع الراهن ، واستخدم الأسطورة والأحداث التاريخيَّة ليجعلها ستارًا ، ويكون في مأمن من بطش السلطة ، ولكنه لم ينقل الأسطورة أو الواقعة التاريخيَّة كما هي ، وإنما غَيَّرَ فيها ليستطيع من خلالها التعبير عن القضايا المعاصرة

فقد استلهم واقعة تاريخيَّة ، وبنى عليها مسرحيَّة (السُّلطان الحائر) ، إلا أنه طوّر في أحداث المسرحية بطريقة تتناسب مع ما يريد أن يوصله إلى الحاكم ؛ فقد كان يهدف من وراء هذه المسرحية إلى نقد بعض الأوضاع في مُدَّة حُكْم الرئيس جمال عبد الناصر.

# المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

## أولا : المصادر :

*** توفيق الحكيم :**

1- السلطان الحائر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م .

## ثانيًا : المراجع العربية :

*** توفيق الحكيم :**

2- شجرة الحُكْم السِّيَاسِيّ في مصر (1919 - 1979) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1985م .

3- ملامح داخلية ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2007م .

4- من البرج العاجي ، مطبعة التوكُّل ، القاهرة ، 1941م .

5- عودة الوعي ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م .

6- يقظة الفكر ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م .

7- في الوقت الضائع (2) ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م .

8- مصر بين عهدين ، مكتبة مصر ، القاهرة ، 1988م .

9- أشواك السلام ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1، 1988م .

10- إيزيس ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ط1 ، 1988م .

*** سامية أسعد :**

11- المسرح الفرنسي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1976م .

*** سعد أردش :**

12- المخرج في المسرح المعاصر ، سلسلة عالم المعرفة (19) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1979م .

*** صلاح منتصر :**

13- توفيق الحكيم في شهادته الأخيرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1417هـ - 1996م .

*** غسان غنيم :**

14- المسرح السياسي في سوريا 1967 - 1990م ، دار علاء الدين للنشر ، دمشق، سوريا ، ط1 ، 1996م .

* **فؤاد دواره :**

15- مسرح توفيق الحكيم ؛ المسرحيات السياسيَّة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1986م .

* **فراس السواح :**

16- لغز عشتار ؛ الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين ، سورية ، دمشق ، ط8 ، 2002م .

* **محمد السيد شوشة :**

17- 85 شمعة في حياة توفيق الحكيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1984م .

* **محمد محمود عبد الرازق :**

18- توفيق الحكيم والحضارة الغربية ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2008م.

**ثالثًا : الدوريات :**

* **أحمد حسين صقر :**

19- المسرح السياسيّ والنص التراثيّ ؛ دراسة مقارنة بين مغامرة رأس المملوك جابر والليلة الثانية بعد الألف ، مجلة كلية الآداب ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد (22) ، ج (3) ، يناير 2009م .

* **فاروق إبراهيم مغربي ، نجود إبراهيم ديب :**

20- تجليات الرمز في نصوص سعد الله ونوس المسرحية (1990-1997) ، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية ، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، اللاذقية ، سورية ، المجلد (36) ، العدد (3) ، 2014م .

* **محمد جاسم مطرود ، زيد ثامر عبد الكاظم :**

21- فاعلية الرمز في نصوص السيرة الدرامية ؛ دراسة تحليلية ؛ مسرحية الحسين الآن أنموذجًا ، مجلة العلوم الإنسانية ، كلية الفنون الجميلة ، جامعة بابل ، المجلد (23) ، العدد (4) ، 2015م .

**رابعًا : الرسائل الجامعية :**

*** آمال قدوري :**

22- الكوميديا في مسرح توفيق الحكيم ؛ مسرحية السلطان الحائر أنموذجًا ، مُذَكِّرَة تَخَرُّج لنيل شهادة ليسانس في الفنون ، كلية الآداب واللغات والفنون ، جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة ، الجمهورية لجزائرية الديمقراطية الشعبية ، 2015م .

*** نورة تواتي :**

23- الرمز في المسرح التاريخي الجزائري بين الفترتين (1938 – 1952) ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس ، كلية الآداب واللغات ، جامعة أكلي محند أولحاج ، البويرة ، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، 2013م .